ما الذي يَجْذِبُنا إلى وسائلِ التَّواصل الاجتماعيّ؟

في أَواخِر الثَّمانينيات، جَرَى إطلاقُ أوَّل مزوِّدٍ لخدمَة للإنترنت الهاتفي Internet service provider ISP في الولاياتِ المتَّحدة. وقد تطوَّرت تقنيَّاتُ الإنترنت كثيرًا عمَّا كانت عليهِ في السنواتِ الخمس والعشرين الماضية، لدرجة أنَّ عبارةَ "الطَّلب الهاتفي Dial-up" تجعلُ معظمَ النَّاس الآنَ يتذكَّرون مُعاناتِهم السَّابقةَ مع الإنترنت.

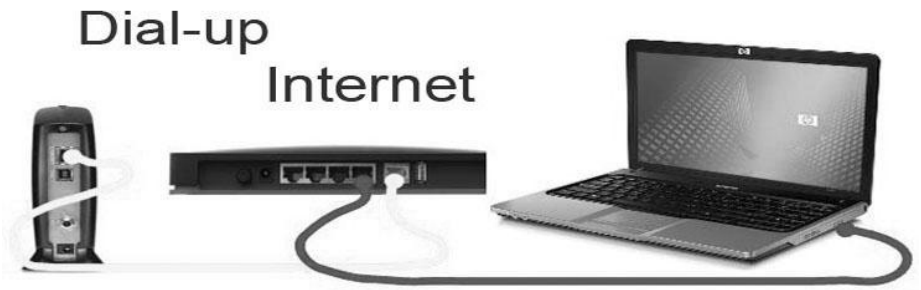

وبطبيعةِ الحال، فإنَّ أهمَّ العواملِ التي كانت ولا تزالُ تجذِبُنا للاتِّصال بالإنترنت هيَ أنَّ هذه الوسيلةَ تتيحُ لنا قدرةً أكبر على التَّواصلِ مع الآخرين؛ فعلى سبيلِ المثالِ، سمحَ لنا استخدامُ الإنترنت بإرسالِ رسائلَ عبر البريدِ الإلكترونِّي كبديلٍ لعملية إرسالِ الرسائل عبر البريدِ العاديِّ. وقد بُنيَتْ وسائلُ التَّواصلِ الاجتماعيِّ لهذا الهدف.

لقد أَصْبَحت وسائلُ التَّواصل الاجتماعيّ جزءًا من واقع ثقافتنا اليومية المعاصرة، ووسيلةً من وسائل تدفُّق الأفكار والأخبار والرسائل بكلِّ مَضامينها وأَهْدافها ومصادرها؛ لقد جعلتَنا نشعر بأنَّنا في غاية

القرب من بعضنا بعضًا، وفي غاية القُرْب من المعلومة تلقِّيًا ونشرًا لها، حتَّى وصلت هذه البرامجُ إلى أقصى أَعْماق ما خفيَ وما ظهرَ في حياتنا؛ كما أنَّها باتت بأيدي صغارنا وكبارنا؛ وتسابَقُ عليها دعاةُ الخير والشرِّ، لاستثمارها في محيط حَيَاة الفرد والجماعة، تَغْيِيرًا وتبديلاً، في ظلِّ غياب الآليَّات الفاعلة لمواجهة تدفُّق ما يجري تمريرُه عبر هذه المواقع من مَعاوِل هَدْمٍ أخلاقي وفكري في كثيرٍ من الأحيان، إلى جانب ما يجري ضخُّه من حربٍ نفسية، يُراد من خلالها بِناء قَناعات، وتكريس صُوَر سلبية تؤدِّي في نهاية المطاف إلى إحداث شَرْخٍ وخَلَل في فكر المتلقِّي، فيصبحَ في النهاية أداةً طيِّعة بيد من يُوجِّه ذلك الفِكْر، أو تلك المَعْلومة، ومن ثمَّ قيادته إلى مهالِك التبعية الفكرية والاِرْتِهان الثَّقافي وما يُراد منهما.

لذلك، لابدَّ من إعادَة سياسَة استخدام وسائل وتطبيقات التواصل الاجتماعي بمزيدٍ من التَّثْقيف والتَّحْصين، مع تَطْوير استخدامها من لغة المواجهة والدِّفاع إلى أسلوب الوقوف أمامَ من يريد غزو مجتمعنا فِكْرًا وتحريضًا؛ ولا يتحقَّق ذلك ما لم يكن لدى شبابنا ومستخدمي هذه الوسائل الإلمام بمَدْلولات وأَهْداف تلك الرسائل الموجَّهة، وكيفية مواجهتها، من خِلال المشاركة الإيجابيَّة القادرة على خَلْق رؤية تَدْحض تلك الأكاذيبَ وما تَحْمله من أَهْداف ومَضَامين سلبية.

يقول د. أحمد الرضيمان – عُضْو هيئة التدريس بجامعة حائل، ورئيس الأمن الفكري بالجامعة –: "إنَّ وسائلَ التواصل الاجتماعي قد تُستعمَل في الخير ونشر العلم وتحقيق المصالح ودرء المفاسِد، كما أنَّها قد تُستعمَل في الشرِّ ونَشْر الفتن والإفْساد في الأرض، وذلك يكون بحَسب مستعمِل هذه الوسائل وديانته وأمانته وأفكاره ورؤاه؛ فإن صلحَ استفاد منها وأفاد، وإن فسدَ أو جهل ضلَّ وأضلَّ سبيل الرشاد".

إنَّ قدرةَ هذه الوسائل تَكْمُن في أنَّها تستطيع الوصولَ إلى أقصى نقطة على هذا الكون يوجد عليها الإنسانُ من دون حسيبٍ ولا رقيب؛ وتكمن الخطورةُ في هذه الوسائِل أحيانًا من عجز وسائل الرقابة التَّقْليدية عن منع تدفُّق هذه المعلومات، التي قد يكون فيها جزءٌ إيجابي أو يكون فيها أثر سلبي على تَماسُك المجتمع ووحدته.

وهذا لا يَعْني وَضْعَ القيُود المحكَمَة على هذه الوسائل، بقدر ما يعني إعطاء الفَرْد فرصَة التحكُّم بطريقة التعامُل الإيجابية مع مثل هذه الوسائل، وذلك من خلال تَحْصينه بالمبادئ الصحِّية والوَعْي اللازم.